

تفسير قوله: قَلِيلًا مَا تَذَكُّرُونَ

..... ثم قال: { قَلِيلًا مَا تَذَكُّرُونَ } . في هذا الحرف ثلاث قراءات سبعيات: قرأه ابن عامر وحده: "قليلاً ما يتذكرون" بزيادة ياء، وقرأه حمزة والكسائي وحفص عن عاصم { قَلِيلًا مَا تَذَكُّرُونَ } ; بناء واحدة مع تخفيف الذال على حذف إحدى التاءين. وإذا كان أول الفعل مبدوءاً بتاءين جاز حذف إحداهما تخفيفاً بقياس مطرد. وقرأه بقية القراء السبعة لهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر وهو شعبية عن عاصم قرأوا: "قليلاً ما تذكرون" بتشديد الذال. فعلى قراءة { تَذَكُّرُونَ } أصله "تذكرون" حذفت إحدى التاءين، وعلى قراءة "تذكرون" فقد أدخلت إحدى التاءين في الذال، وعلى قراءة ابن عامر "يتذكرون" فهو من الغيبة لا من الخطاب؛ فال فعل للغائبين لا للمخاطبين. قوله: { قَلِيلًا } يعربونه مصدرًا، والمعنى تذكرون قليلاً لأن الكفار ربما تذكروا تذكراً قليلاً فأنموها ولكنهم براجعيهم شركهم وكفرهم؛ كما قال: { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُسْرِكُونَ } . وزعمت جماعة من علماء العربية أن العرب الذي نزل القرآن بلغتهم يطلقون الكلمة وبيريدون بها الأعدم الممحض. يقولون: مررت بأرض قليل بها الكراش والبصل؛ يعنيون لا كرات فيها ولا بصل، وهذا أسلوب معروف منه قول غيلان ذي الرمة أنيخت فألاقت بلدة فوق بلدة قليل بها الأصوات إلا ب GAMMA يعني: لا صوت فيها ألبة إلا بعام ناقته. ومنه قول الطرماح بن حكيم يمدح بزيد بن المهلب أسم ندي كثير النوادي قليل المثالب والقادحة يعني لا مثيلة فيه ولاقادحة ألبة. وهذا معروف، ومنه في كلام العرب قوله: فما بات لو ردت علينا تحيه قليلاً لمن لا يعرف الحق عاليها يعني لا عيب فيها البتة عند من يعرف الحق. وظاهر القرآن هو الأول أنهم يتذكرون تذكراً قليلاً لا يجدي، ولو تذكروا وأمنوا ببعض لا ينفعهم ذلك؛ كما قال تعالى: { أَفَقُوْمٌ يَوْمَ يَعْصِيْنَ الْكِتَابَ وَتَكْفُرُونَ بِعَصْبَرَةِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَرْجٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } الآية. وهذا معنى قوله: { قَلِيلًا مَا تَذَكُّرُونَ } والحاصل أن هذه الآية الكريمة يجب على كل مسلم أن يتذبرها، ويعلم أن النطام المتبعة هو نظام الله لا نظام إيليس ولا قانون الشيطان؛ لأن قانون الشيطان صرخ الله بأن من اتباعه مشرك في قوله: { وَإِنْ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُسْرِكُونَ } . وأية الأنعام هذه { وَإِنْ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُسْرِكُونَ } هي عند علماء العربية مثال لحذف لام التوطئة. قالوا: الأصل "ولئن أطعتموه إنكم لمشركون"؛ فحذفت لام توطئة القسم، قالوا: وهذه الآية دليل على ذلك. والقرينة على أن هناك لام التوطئة محذوفة أنه لو كان شرطاً مهما خالياً من قسم لقال: "إن أطعتموه فإنكم لمشركون"؛ لأن جواب الشرط إذا كان ليس يصلح فعلاً للشرط وجوب اقتراحه بالفاء كما هو معروف في علم العربية. فلو لم يكن هنالك قسم مقدر لقال: "إن أطعتموه فإنكم لمشركون"؛ والتحقيق أن القرآن ليس فيه حذف الفاء في جملة جزاء الشرط إذا كانت جملة اسمية أو طلبية أو غير ذلك من الجمل التي لا تصلح أن تكون فعلاً للشرط. وما زعموا من أن قراءة نافع في سورة الشورى "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيَّةٍ بِمَا كَسَبَتِ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ" ، فإن المصحف الكبير الذي بقي في المدينة عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فيه: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيَّةٍ بِمَا كَسَبَتِ أَيْدِيكُمْ" بلا فاء. والمصاحف التي أرسلت للعراق وغيرها فيها الفاء { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيَّةٍ بِمَا كَسَبَتِ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } قالوا: "ما" هنا شرطية والفاء لم تأت في قراءة نافع وابن عامر "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيَّةٍ بِمَا كَسَبَتِ" بلا فاء. والحق أن آية الشورى هذه لا حجة فيها؛ لأن لفظة "ما" على قراءة نافع ابن عامر - أن "ما" موصولة لا شرطية، والمعنى والذي أصابكم من مصيبة هو كائن بما كسبت أيديكم، فلا شرط فيه أصلاً على قراءة نافع وابن كثير والمقرر في علم القراءات وعلوم القرآن أن القراءتين كالأيتين تكون هذه القراءة لها معنى وهذه لها معنى، فلا مانع من أن تكون "ما" على قراءة الجمهور شرطية فجيء بالفاء، وعلى قراءة نافع وابن كثير موصولة فلم يحتاج إلى الفاء. وهذا معنى قوله جل وعلا: { أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَسْبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكُّرُونَ } .